٤

عائشة بنت أبي بكر

الجزء الأول

أحب زوجات النبي إلى قلبه

بقلم : د. وجيه يعقوب السيد

بريشة : د. عبد الشافي عبيد

إشراف : أ. حمدي مصطفى

سألَ (عمرُو بنُ العاصِ) الرسولَ ﷺ بقوله :

ـ أىُّ الناسِ أحبُّ إليكَ يارسولَ اللّه ؟

فقال رسولُ اللّهِ ﷺ على الفَوْرِ :

ـ (عائشةُ) !

فقالَ (عمرو) :

ـ لستُ أسألكَ عنِ النِّساء .

فأجابهُ النبىُّ ﷺ قائلاً :

ـ أبوها (أبو بكرٍ) .

ولا يندهشُ الإنسانُ منْ حبِّ الرسولِ ﷺ الشديد لهذه الأُسرةِ بأسْرِها حبًا فاقَ الوصفَ ، فقدْ كانتْ أسرةً قرآنيةً ، تربّتْ على حبِّ اللّه ورسوله ، ونشأتْ على التضحيةِ والبذْلِ فى سبيلِ اللّه ، طمعًا فى رضوانِ اللّه ، وحبًا فى رسولِ اللّه ﷺ ، فبادلهمُ الرسولُ ﷺ حبًا بحُبٍ ، وقال عنْ صاحبهِ (أبى بكرٍ) :

ـ لو وُضعَ إيمانُ (أبى بكرٍ) فى كفّةٍ ، ووُضعَ إيمان الأمةِ فى كفّةٍ ، لرجحتْ كفّةُ (أبى بكرٍ) .

وحينَ تسرّبتِ الغيرةُ إلى قلوبِ نساءِ النبىِّ ﷺ بسببِ حبِّهِ الشديد لـ (عائشةَ) ، قالَ لمنْ جاءتْ تعاتبهُ فى ذلك :

ـ لا تؤذيني في (عائشة) ، فإنهُ واللهِ ما نزلَ عليَّ الوحيُ وأنا في لحافِ امرأةٍ منكنَّ غيرِهَا .

وحينمَا دخلتْ عليه ابنتهُ (فاطمةُ) ، وهي منْ أحبِّ الناسِ إليه ، وقالتْ لهُ :

ـ إنَّ نساءكَ أرسلنني إليكَ ، وقد اجتمعْنَ وهنَّ ينشُدْنَكَ العدلَ في بنتِ (أبي قحافةَ) .

فسألهَا النبيُّ ﷺ .

ـ أتحبِّينني ؟

فتجيبهُ (فاطمةُ) :

ـ نعم .

فيقولُ النبيُّ ﷺ :

ـ إذنْ أحبِّي (عائشةَ) !

فمنْ هي (عائشةُ) التي أحبهَا الرسولُ ﷺ كلَّ هذا الحبِّ ؟

ومنْ هو أبوها الذي كانَ الصاحبَ والصَّديقَ لرسولِ اللهِ ﷺ ، وما دورُه في حياته ؟

على الرغمِ منْ زواجِ الرسولِ ﷺ من السيدةِ (سودةَ بنتِ زَمْعةَ) ، بعدَ وفاةِ زوجتهِ (خديجةَ رضيَ اللهُ عنها) ، إلا أنها

لمْ تملأْ عليه حياته ، ولمْ تسدّ الفراغ الكبير الذى تركتْهُ (خديجةُ) بوفاتها ، وكان الصحابةُ يشْعُرونَ بذلك ، فالسيدة (سودةُ) امرأةٌ كبيرةٌ فى السنّ ، ولذلك فقدْ أرسلوا إليه (خولةَ بنت حكيم) تعرضُ عليه الزواج منْ (عائشةَ بنت أبى بكر) .

ولمْ يتودّد الرسولُ ﷺ فى الموافقة على هذا الزواج، فقدْ كانَ يرغبُ فى توطيد العلاقة بينهُ وبين صاحبه (أبى بكرٍ الصديق) ، كما أنّ (جبريلَ عليه السلامُ) أشارَ على الرسول ﷺ بالزواج منها لحكمةٍ يعلمُها اللّهُ .

ففى الصحيحينِ منْ حديث (عائشةَ رضىَ اللّهُ عنها) أنّ النبىَّ ﷺ ، قالَ لها :

ـ أُريتُك فى المنامِ مرتّينِ ، أرى أنك فى سرقةٍ من حريرٍ ـ أىْ قماشٍ أبيضَ ـ ويقولُ : هذه امرأتُكَ . فأكشفُ عنها فإذا هى أنتِ ، فأقولُ : إنْ يكُ هذا منْ عند اللّه يُمْضه .

[متفق عليه]

ولذلكَ فقدْ قالَ النبىُّ ﷺ لـ (خولّةَ بنت حكيمٍ) حين ذكرتْ له (عائشةَ) :

ـ اذهبى فاذكُريها علىَّ .

وانطلقتْ (خولةُ بنتُ حكيمٍ) حتى جاءتْ بيتَ (أبى بكرٍ) ، فوجدتْ زوجتَهُ أمَّ (رومانَ) ، فقالتْ لها :

ـ ما أدْخلَ اللَّهُ عليكمْ منَ الخيرِ والبركةَ !

قالتْ أمُّ (رومانَ) :

ـ وما ذاك ؟

قالتْ :

ـ أرسلنى رسولُ اللَّهِ ﷺ وعلَى آله أخطبُ عليه (عائشةَ) .

فقالتْ أمُّ (رومانَ) :

ـ وددْتُ ، انتظرِى (أبا بكرٍ) .

فلما رجعَ (أبو بكرٍ) وأخبرتْهُ (خولةُ بنتُ حكيمٍ) بذلكَ قالَ :

ـ وهل تصلحُ لهُ ، وهى بنتُ أخيه ؟

فرجعتْ (خولةُ) فذكرتْ ذلكَ للنبىِّ ﷺ فقالَ لها :

ـ قولى له : أنتَ أخى فى الإسلامِ ، وابنتُكَ تحلُّ لى .

فخرجَ (أبو بكرٍ) ، وقالَ لـ (خولة) :

ـ ادعى لى رسولَ اللَّه ﷺ .

فمضتْ (خولةُ) إلى النبىِّ ﷺ ، فدعتْهُ فجاءَ بيتَ صديقه

(أبى بكر) فخطب منهُ (عائشة) وهى فى السابعة منْ عمرها، واتفقا على إتمام الزواج بعدَ مدَّة ، حتى تكونَ قد نضجتْ واستعدَّتْ لتحمل مسئوليَّة الزواج .

وكانَ الرسولُ ﷺ يتردَّدُ على بيت صديقه منْ وقتٍ لآخر، وكانَ يوصى أمَّ (رومانَ) بـ (عائشةَ) ، ويقولُ :

ـ يا أمَّ (رومانَ) ، استوصى بـ (عائشة) واحفظينى فيها .

وذاتَ يومٍ رأى الرسولُ ﷺ (عائشةَ) وهى تبكى فسألها عنْ سبب بكائها فشكتْ لهُ أمَّها ، فدخلَ الرسولُ ﷺ عليها وعاتبها عتاباً شديداً ، وقالَ :

ـ يا أمَّ (رومانَ) ، ألمْ أوصكِ بـ (عائشةَ) ؟

وأصبحَ الرسولُ ﷺ يتفقَّدُ أحوالَ أسرة صديقه منْ وقتٍ لآخر ، خاصَّةً (عائشةَ) ، وكان يوصى بها والديْها بشكلٍ مستمرٍ ، ولما أذنَ اللَّهُ لرسوله ﷺ بالهجرة ، كانَ لهذه الأسرة دورٌ كبيرٌ فى إنجاح هجرة الرسول ﷺ ، كما أنَّ زواجَ الرسولِ ﷺ لمْ يتمَّ إلا بعد أنْ هاجرَ إلى المدينة المنورة .

ففى هذه الهجرة المباركة اختارَ الرسولُ ﷺ صاحبهُ (أبا بكرٍ الصديق) ليرافقهُ فى هذه الرحلة ، فكانَ نعْمَ الرفيقُ والصاحبُ ، حمل كلَّ ماله معهُ لينفقهُ فى سبيل اللَّه .

وبقى (عبد الله بن أبى بكر) بمكة لكى يحرس أمه وجدته وأختيه ، كما كان يسمع الأخبار وينقلها إلى رسول الله ﷺ فى الخفاء .

وقامت (أسماء بنت أبى بكر) بحمل الطعام والشراب إلى رسول الله ﷺ وأبيها ، وكانت تقطع مسافة كبيرة من أجل توصيل الطعام إليهما .

أما (عائشة) فقد كانت صغيرة ، وبرغم ذلك فقد كانت تساعد أختها ، وظهر انشغالها بالرسول ﷺ ، فقد كانت تظل ترقب عودة أختها وأخيها حتى تعرف منهما أخبار النبى ﷺ ، وكان قلبها الصغير يرتجف كلما سمعت أن قريشا أرسلت رجالا للبحث عن (محمد) وصاحبه ، فقد كانت تخشى أن ينطفئ هذا السراج الذى يضىء حياتها بل يضىء حياة الناس كافة .

ولم تهدأ نفسها إلا بعد أن علمت أن رسول الله ﷺ قد وصل المدينة المنورة بسلام هو وأبوها ، فغمرتها السعادة وعمتها البهجة وكادت تطير من الفرح .

ولما استقر النبى ﷺ بالمدينة أرسل (زيد بن حارثة) ليصحب بناته ، وبعث إلى (عبد الله بن أبى بكر) لكى يصحب

أمُّهُ وأختيْه (أسماءَ وعائشةَ) .

كانتِ القلوبُ تهفو للقاء رسولِ اللّه ﷺ ، خاصةً قلبُ الصغيرةِ (عائشةَ) التى كانتْ تنظُرُ إلى الرسولِ ﷺ على أنهُ كلُّ شَيْءٍ فى حياتها ، إنهُ الزوجُ والنبىُّ والوالدُ ، والحبُّ الذى يحلّقُ بها فى سماءِ الإيمانِ .

وما إنْ وصلتْ (عائشةُ) المدينةَ وبلغتِ العاشرةَ منْ عُمرها حتى ذهبَ أبوها إلَى الرسولِ ﷺ وتحدّثَ معهُ فى شأنِ زواجه منْ (عائشةَ) ، فما كانَ أسعدَ حالَ النبىِّ ﷺ بذلكَ .

كانَ الصحابةُ يعرفونَ مدَى حبِّ الرسولِ ﷺ لـ (عائشةَ) ، لذلكَ فقدِ اجتمعوا فى بيته ليلةَ عُرْسِه ، وأظْهروا سعادتَهمْ الغامرةَ بهذا الزواجِ المباركِ ، وتسابقَ الجميعُ فى إدخالِ البهجةِ والسرورِ على نفسِ رسولِ اللّه ﷺ .

كانتْ (عائشةُ) تشعرُ بالخجلِ والرهبةِ ، ولذلكَ فقدْ مضتْ معهَا أمُّها أمُّ (رومانَ) إلى بيتِ رسولِ اللّه ﷺ ، وجلستْ معها بعضَ الوقتِ ، ثمَّ انصرفتْ إلى حالِ سبيلِها بعد أنْ أوصتِ النبىُّ ﷺ بـ (عائشةَ) خيراً ، ودعتْ للزوجينِ قائلةً :

ـ هؤلاءِ أهلُكَ يا رسولَ اللّه ، فبارك اللّهُ لك فيهنَّ وبارك لهنَّ فيك .

ومنذُ هذه اللحظة ، وقدْ أخذتْ (عائشةُ رضيَ اللَّهُ عنها) تتألقُ في بيتِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وراحتْ تبعثُ البهجةَ والسرورَ في جنباتِ المكانِ ، ودبّتِ الحياةُ في بيتِ رسولِ اللَّهِ ﷺ مرةً أخرى على يدِ هذهِ الفتاةِ الذكيّةِ المتوقّدةِ الذكاءِ .

وعلى الرغمِ من فارقِ العمرِ بينَ الزوجينِ ، فقدْ كانتِ الحياةُ سعيدةً هانئةً بينهما ، فقدْ كانَ منَ المألوفِ في ذلكَ الوقتِ أنْ يتمَّ مثلُ هذا النوعِ منَ الزواجِ ، أمّا صِغَرُ سنِّ (عائشةَ) ، فقدْ كانتِ البيئةُ في ذلكَ الوقتِ تساعدُ على نموِّ الفتاةِ ونضجِها في سنٍ صغيرةٍ ، كما أنَّ (عائشةَ) بفضلِ عمرِها الصغيرِ وذكائِها ومعاشرتِها الطويلةِ للرسولِ ﷺ قدْ حفظتْ عنهُ الكثيرَ منَ الأحاديثِ ، وصارتْ مرجعاً للمسلمينَ في كلِّ مكانٍ .. لذلكَ فقدْ كانَ الزواجُ موفّقاً وكانتْ له ثمارٌ عظيمةٌ ، جنَى المسلمُ آثارَها ومازالَ يجنيها ..

(تمّتْ)

الكتاب القادم

عائشة بنت أبي بكر (٢)

أهم صفاتها

رقم الإيداع : ١/٢٤٣٦ ـ ٢
الترقيم الدولي ٩٧٧ ـ ٢٦٦ ـ ١٢٤ ـ ٠